قد عثر في بيروت مركبًا ليسافر ثمّ يعود الى بيروت. فلمّا كان بيدر مشغولًا بدياط حضر المركب الى بيروت فاحتاج الى مصروف فتوقّف الوالد في اخراج ذلك فسرّها بيدر في خاطره. وكان ابو بكر خليل بن ملّي من صيداء قد توصّل عند بيدر وكان شديد البغض للوالد كثير الحسد له وكان يذكره عند بيدر بما يُغضب بيدر عليه. فلمّا عاد بيدر الى نيابة الشام جعل ابن ملّي المذكور خوندارًا صغيرًا واضمر الحقد على الوالد. فمن ذلك لمّا تحرّكت الشيعة في بيروت وجرى لذلك حركة رديئة اغتنم بيدر الفرصة فطلب الوالد واهانهُ ومنها انهُ اخرج اقطاعهُ مرّتين فاعطاهُ مرّةً لشخص يُعرف بابن صاري والاخرى ليحيى ابن العفيف. ولم ادرِ ايّهما الاولى من الثانية

اللحية والشعر في الكنيسة الشرقيّة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

ليس للّحية من ذكر في اسفار العهد الجديد وانّما نعلم من تاريخ شعب الله انّ اليهود كانوا يربّون لحاهم. يشهد بذلك سفر الملوك الثاني (٢٠ : ١—٥) وسفر عزرا (٩ : ٣) الى غير ذلك من الآيات المشهورة. ومن ثمّ يصحّ القول ان المسيح لذكره المجد والحواريين بعده اطلقوا لحاهم جريًا على عادة بلادهم

وان فحصنا الآثار القديمة كالتصاوير والنقوش التي تمثّل هيئة الرب وشخصهُ الكريم وجدنا ان بين المصوّرين الاقدمين اختلافًا فمنهم من يرسم هيئة المخلص بلحية مسترسلة ومنهم من يمثّلهُ بلا لحية. الّا ان في هذا التباين رمزًا كما بيّن ذلك اصحاب العاديات الكنسيّة وذلك انّ المصوّر كان يحلّي وجههُ بلحيةٍ اذا ما اراد الاشارة الى طبيعتهِ الالهيّة وكان بعكس ذلك يمثّلهُ بلا لحيةٍ ان اراد وصف طبيعتهِ البشريّة وقد ايّد العلّامة كراوس (Kraus) هذا الرأي في دائرة العلوم المسيحيّة القديمة (١ وذكر

١) راجع Encyklop. d. Christ. Alterthümer II, 24.

نحو ٤٠٠ صورة قديمة تبيّن هذا الامر اجلى بيان. مثال ذلك انك ترى الرب أمرد عند غسل ارجل الحواريين وعند وقوفه امام بيلاطس وهامًّ جزا وهو ملتحٍ في صور القيامة والصعود (١

امّا رُسل الرب فان الصور القديمة تجعلهم كلهم ذوي لحىً الّا يوحنّا الحبيب. فانّ المصوّرين يتّبعونهُ امرد غايتهم بذلك ان يشيروا الى بتوليّته لا لخلوّه من اللحية

ثمّ تبع الرسلَ خلفاؤهم فساروا على عادتهم من حيث الالتحاء. بيد ان الامر لم يعمّ الكنيسة جمعاء. وذلك لان قسمًا من الاساقفة كانوا في بدء النصرانية من الرومان واليونان فلا غرو انّهم حذوا حذوَ معاصريهم واهل جلدتهم في الالتحاء. كما في باقي الامور وكان من عادة الرومان واليونان حلاقة اللحى اللهمّ الّا في مواطن الحزن كما يفعل اليوم السوريّون في حدادهم

وان تصفّحنا آثار القرن الثالث وجدنا ان اطلاق اللحية في كنائس المشرق كان اضحى عادةً ألفها ارباب الدين الّا قليل منهم. يشهد بذلك كتاب الرسوم الرسوليّة الذي كُتب في ذلك العهد (راجع مجموع مين ١ : ٥٦٥) وكليمس الاسكندريّ (٨ : ٥٨٠) ثمّ القديس ابيفانيوس (٤٣ : ٧٦٨) ولعلّ الشرقيين لم يبطلوا مذ ذاك الحين عادة الالتحاء الى يومنا. امّا كنائس الغرب فكانت تختلف عوائدها في ذلك فيلتحي البعض من زعمائها في امكنةٍ ويحتلق غيرهم لحاهم في امكنة اخرى وربّما كانت الكنيسة الواحدة تبدل عادتها من هذا القبيل حينًا بعد حين

ويُستفاد من تاريخ القرون المتأخرة ان اكثر الكهنة اللاتينيين كانوا ذوي لحىً في القرن السادس عشر الى اواسط القرن السابع عشر. وممّا شاهدتهُ بالعيان في المكتبة الشهيرة المعروفة بالروسيانا (Rossiana) في قِنّة صور قديمة تمثّل الاحبار الرومانيين رُسمت في القرن الخامس عشر فترى بينهم كثيرين تحمّلين باللحى. وجرى خلفاؤهم على ذلك الى القرن السابق لعصرنا هذا

٢

هذا ما يختصّ باللحى امّا إعفاء شعر الرأس او قصّهُ فلنا في ذلك شواهد نثبتها هنا:

---

١) راجع ايضًا - Le Blant : *Sarcophages chrétiens d'Arles. p. 7 et 19* - *Sarcoph. de la Gaule* 117, 160.

اعلم انَّ الآثار القديمة التي وردت فيها صورة الرب تمثِّل المسيح تارةً بشعر مسترسل وتارةً بشعر قصير (١ ولعلَّ الذين رسموا صورة الفادي على الهيئة الاولى ارادوا بذلك الاشارة الى انقطاعهِ الى الامور الالهيَّة شأن النذراء في بني اسرائيل. ومن المعلوم انَّ النذير لم تكن الموسى تمسّ شعر رأسهِ طول ايام نذارتهِ

هذا واوَّل من ذكر الشعر في العهد الجديد الرسول المصطفى في رسالتهِ الاولى الى اهل قورنتس (١١ : ١٤) حيث يقول: « انَّ الرجل اذا كان يربّي شعر رأسهِ فهو عار لهُ » وزاد على قولهِ هذا: « انَّ الطبيعة نفسها تعلِّم ذلك »

فيؤخذ من كلام الرسول انَّ الرجال المؤمنين مطلقاً في بدء الكنيسة كانت عادتهم قصّ شعورهم لا حلقها لانَّ ظاهر كلامهِ يصحُّ في تربية الشعر فقط

وينطبق قول الرسول على نقوش العاديَّات المسيحيَّة فانَّ صور الرسل القديمة في ديامبس رومة وغيرها من الاماكن تمثّلهم بشعر قصير. وقد جاء في رسالة كتبها البابا أنيقيت سنة ١٦٧ للمسيح: « أنهُ لا يجوز للاكليركيين ان يربّوا شعورهم وفقاً لقول الرسول ». ومن اقوال القديس هيرونيموس في شرحهِ على نبوَّة حزقيال (ك ١٣ ص ٤٢) « انَّهُ ينبغي على من خصَّصوا نفوسهم لخدمة الرب ألَّا يحلقوا رؤوسهم حلقاً تاماً كما هو شأن كهنة الاصنام ولا يدعوا شعورهم مسترسلةً كالمتخنّثين او الجنود والبرابرة. والاليق بالكاهن ان يكون شعرهُ قصيراً ساتراً لجلدة رأسهِ » (in tantum capillos demittere ut operta sit cutis) . وقال في محلّ آخر : « انَّ قصر الشعر يميّز الكاهن من العامَّة »

ولمَّا شاع في بلاد ما بين النهرين عن بعض الرهبان انَّهم اخذوا يُعفون شعر رؤوسهم ولحى ذقونهم اخذ آباء الكنيسة يكتبونهم على هذا الفعل منهم القديس ابيفانيوس (في كتاب الهرطقات ف ٨٠ ع ٢) والقديس هيرونيموس في رسالتهِ الحادية والعشرين الى اوستوخيوم (ف ١٤). وكان القديس اوغسطينوس يسخر من اصحاب هذه العادة فيدعوهم « اصحاب الجسم والشعور الكثَّة » (criniti fratres)

وقد اخبر المؤرخ سقراط انَّ يليانس الجاحد لمَّا اراد مراءاة ان يدخل في عداد

١) راجع الصفحة ١٢٦ و ١٢٧ من كتاب نواويس النصارى في غالية (Sarcophages chr. de la Gaule)

الاكليريكيين ويتقبل رتبة القارئ حتم عليه الاسقف ان يقص شعره قصًا ناعمًا حتى كاد ان يُرى من خلاله جلد رأسه

وروى اقـاغريوس الكاتب متمم تاريخ سقراط عن بعض المترشحين الى درجة الكهنوت انهم لم يرقوا الى هذه الرتبـة الّا بعد قص شعورهم. وقد وثب القديس غريغوريوس مكسيموس الاسقف الدخيل على انهُ كان يمشي في الاسواق وعلى رأسه جمّة شعر طويل

فكلُّ هذه الشواهد تبيّن صريحًا انَّ ارباب الكهنوت في المشرق لم يرتبوا شعورهم في القرون الاولى . وقد بقيت هـذه العادة الى القرن السابع والثامن والدليل على ذلك شكايةٌ وردت على احد الكهنة في مجمع القسطنطينيَّة سنة ٦٩١ مُحصَّايا « انهُ كان يربّي شعر رأسه كالعامّة »

ومما اثبتهُ الواقدي في كتاب فتوح الشام انَّ الخليفة ابا بكر الصديق اوصى سريّة المسلمين الّا يتعرَّضوا لرهبان النصارى ووصفهم بانهم « حلقوا اوساط رؤوسهم »

فثبت اذن ممَّا تقدَّم ان قصر شعر الرأس كان عادةً ألفها الاكليريكيون الشرقيُّون ليمتازوا بها عن القوم والاحرى ان يقال ان العامّة انفسهم كثيرًا ما كانوا يأنفون الشعور المسترسلة ويعتبرون ذلك من اعمال المتخنّثين او الشاخين بانفهم (١

امَّا حلق قمّة الرأس الّا جوانبهُ على هيئة اكليل كما يفعل اليوم الرهبان الفرنسيسيُّون والدومينيكيُّون فتلك عادة جرت اوَّلًا بين قدماء النسَّاك منذ القرن الرابع تعبُّدًا ثمَّ اتَّخذها منهم الرهبان الى ان شاع استعمالها بعدئذٍ بين الاكليروس العلماني. الّا انَّ هؤلاء العلمانيين اقتصروا بعد ذلك على الاكليل الصغير كما هو جارٍ عندهم اليوم. ولعلَّ الكهنة الموارنة اخذوا عن الرسلين اللاتين عادة حلق شعرهم على شبه طريقة الرهبان ولا نظنّ انَّهم ألفوها قبل القرن الرابع عشر (٢

وفي الختام يحسن بنا القول انَّ اطلاق اللحية وإعفاء الشعر عادات اختلفت مع اختلاف الزمان والمكان في الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة وليس لها مع الدين علاقة (٣

---

١) انَّ لفظة κομᾶω في اليونانيَّة تدلّ على تربية الشعر والعجرفة معًا وهكذا استعملها مرارًا القديس يوحنا الذهبي الفم. وهذا دليل آخر على انَّ معاصريهِ لم يألفوا هذه العادة

٢) راجع منارة الاقداس للدويهي (١ : ٣٦٧) ٣) ومما يستحق الذكر انَّ القيصر

ومن ثمَّ فايتَّبع كلُّ العادة الجارية في كنيستهِ دون ان يقبح عادة غيره . وقصارى بغية امنا الكنيسة ان تتشبَّث بتعاليم الايمان وتدافع عنها مدافعة الابطال وتعيش كالمؤمنين الاوَّلين قلباً واحداً ونفساً واحدةً (١

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثامن

في مضايق شيلكوت

ثم دنت ساعة السفر وكان المهاجر قد كلَّ من التعب وتورَّمت قدماهُ فلم يَعُد يستطيع ان يتقدَّم خطوةً واحدة وجعل الهنود يتغضَّبون ويتذمَّرون ويتهدَّدون المهاجر المسكين بمغادرتهِ وحدهُ في تلك المجاهل بعد سلبهِ كل ما معهُ من فضَّة

وكان في تلك الساعة ان اكفهرَّ الجوّ بالغيوم ودمدم الرعد ولمع البرق وثارت الزوابع فجعل المهاجر يمشي من حلاوة الروح مع ادلَّائهِ وجميعهم يغوصون حتى الركب في الثلج الحديث السقوط . وكانت الصواعق تنقضّ بين المدَّة والمدَّة فتنير تلك مرآة الجليد الصقيلة عاكسةً عليها انوارًا غريبة اشبه بسهام ناريَّة تتصاعد من الارض الى السماء ثمَّ تتلوها الظلمة الحالكة . فكان المهاجر مع ادلَّائهِ بعد ان يبهر النور القوي عيونهم يسيرون ولكن سدًى لخرق حجُب القتام الكثيف وما زالوا يتقلَّبون في هذه الشدَّة حتى اوصلهم البخت الى نخروب في الجبل فلطأوا فيهِ وعلقوا يتنقلون باتزعاج طول مدَّة الليل حتى تتبدَّد الزوبعة وتنقشع الغيوم . ولمَّا طلع الصباح كان قد انقطع سقوط الثلج الَّا ان المهاجر كان قد برَّح بهِ التعب واصبح عاجزاً عن استئناف السفر فغضب الهنود قائلين:

بطرس الاكبر اسر كلَّ اهل رعيَّتهِ في القرن الماضي ان يهاجروا الى هام وتشدَّد على كثيرين ليقيموا في ذلك . الَّا انَّ شيعة الستار وقرتس (Starowertze) جاهدت جهاداً دونهُ الموت ونقدت اموالاً بالغةً حتَّى أُبيح لاصحابها ان يحفظوا لحاهم

(١) هذه المقالة اختصرناها عن كتب عديدة فمن اراد التوسُّع في هذا الموضوع فعليهِ بكتاب معجم التوقاة للخوري ڤيكورو (*art.* barbe) ومعجم مرتيني (Martigny) وكرواس (Kraus)